قراءة في ديوان

«أشجان النيل الأزرق»

للشاعر حسن الأمراني

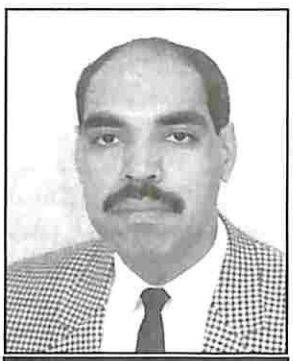

بقلم: د.إسماعيل علوي
المغرب

تعد كتابة الشعر من الأمور الأساسية عند العرب منذ القدم، وكان للشعر أهميته عند المبدع والمتلقي على حد سواء، وما زال الشعر يكتب بحرارة عند مجموعة من الشعراء رغم قلة المهتمين بالشعر والمتابعين له، والديوان الذي نريد أن نقول فيه كلمة هو ديوان "أشجان النيل الأزرق" للشاعر حسن الأمراني.

وسنبدأ بمجموعة من الملاحظات يمكنها أن تساعدنا على الدخول إلى عوالم هذا الديوان.

أولاً: الكتابة المكثفة. إن الشاعر لم يستغرق في كتابته لهذا الديوان إلا أربعين يوماً أي أنه كان يكتب قصيدة في يومين تقريباً؛ لأن عدد القصائد في هذا الديوان قد بلغ تسع عشرة قصيدة. وهذه الكثافة في الكتابة فرضها تزاحم القصائد لأجل الخروج إلى الوجود، أيضاً تلاحق الأحداث التي كانت وراء الكتابة، بالإضافة إلى ما كان مختزناً في ذهن الشاعر ومخيلته من أمور ألحت هي أيضاً على الخروج من مستوى القول إلى مستوى الفعل.

ثانياً: وجود مواضيع مختلفة اقتضتها طبيعة التجربة الشعرية مما كان يستدعي طولاً في النفس وبراعة في الإمساك بخيوط روح العمل الشعري، فقد جال الشاعر في عدة أقطار ولامس عدة قضايا تعد حساسة في زمننا هذا.

ثالثاً: يجمع هذا الديوان إلى جانب الشعر الحر - وهو الغالب - الشعر العمودي وقد زاد في غنى التجربة وتنوعها.

رابعاً: إن القصائد في هذا الديوان من القصائد القصار ولهذا دلالته في العمل الشعري، أي أن الشاعر تحمل عبء المخاض وعبء الكتابة مرات عديدة في زمن محدود، إذ إن لكل قصيدة عالمها الخاص رغم الوشائج الموجودة بين كل القصائد.

عنوان الديوان:

وبعد هذه الملاحظات لا بد من الوقوف عند عنوان هذا الديوان الذي هو "أشجان النيل الأزرق" ولا شك في أن للعنوان أهميته إذ إن "من أهم السمات الجمالية التي تميز الشعر المعاصر أن الشاعر أصبح حريصاً على أن يضع (عنواناً) لكل قصيدة بل لقد انتقل الأمر أيضاً إلى كل ديوان يصدره"[1]. وعنوان هذا الديوان مكون من مركبين: (أشجان النيل) و (الأزرق) والمركب الأول مركب إضافي يتحدث عن أشجان كثيرة وليس عن شجن واحد فلماذا (أشجان) جاءت بالجمع؟ إن الديوان يتحدث عن أشجان كثيرة كان النيل منطلقاً لها ولهذا تعددت القصائد في هذا الديوان وذلك انسجاماً مع الأشجان المتعددة، وربط هذه الأشجان بالنيل أخرجها من أن تكون نكرة، لأن الشاعر

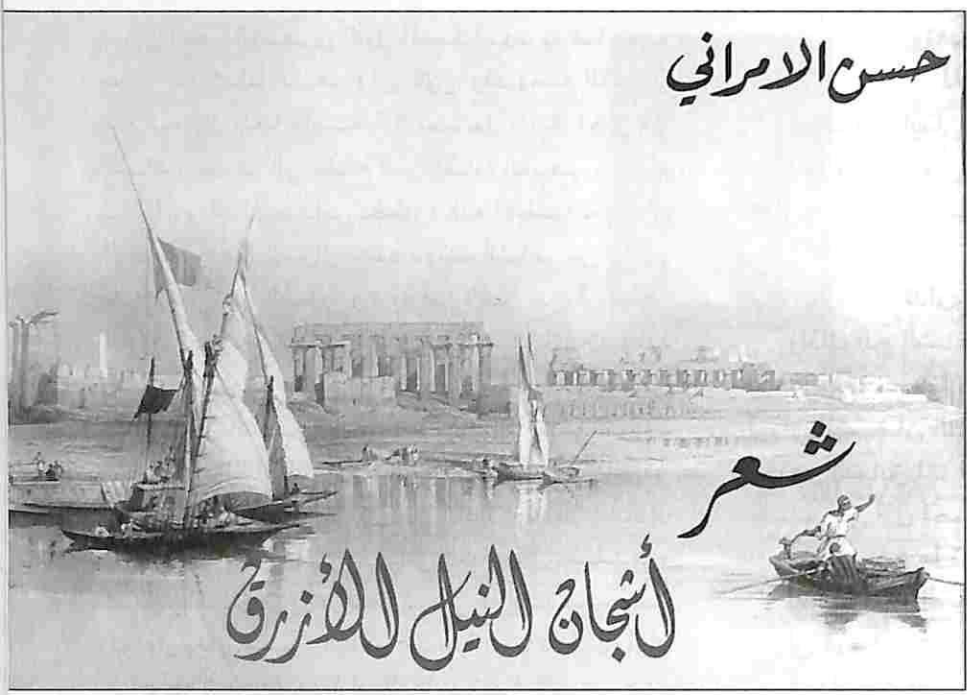

يتحدث عن أشياء معروفة لديه ومحددة، ويظهر لنا من خلال كلمة "الأزرق" أن الشاعر قصد أن يأتي بها، وذلك لأنها تعني العمق كما تعني الامتداد، وهذا يخدم السياق العام للديوان، وتغدو أشجان النيل أشجان الشاعر بل أشجان الأمة كلها، ويكون بذلك النيل ليس مقصوداً بوصفه بعداً جغرافياً وإنما بوصفه بعداً تعبيرياً يبدأ بالنيل ليتخطاه إلى أماكن أخرى موجودة بكثافة في الديوان.

إن التجربة الشعرية في هذا الديوان مختلفة عن التجارب السابقة لهذا الشاعر، وذلك لأن الشاعر في هذا الديوان أراد أن يرسم لنفسه مسلكاً جديداً في التعامل مع الشعر، وقد عضد ذلك بما جاء من افتتاح قبل بداية القصيدة الأولى، وأيضاً بالكلمة التي ختم بها ديوانه. وقد صرح الشاعر نفسه بأن القصائد المكتوبة في هذا الديوان كلفته معاناة ومكابدة لم يعرف مثلها من قبل، وربط ذلك بحرقة الشعر[٢] ، والمهم عندنا ليس ما قاله الشاعر عن نفسه نثراً – وإن كان لذلك أهميته – ولكن الذي يهمنا بالأساس هو ما قاله شعراً من خلال قصائد هذا الديوان وما تفرزه من قيم شعورية وعناصر جمالية ورؤيا. إن قولنا بأن هذه التجربة مختلفة لا يعني أنها منفصلة عما سبقها من أعمال شعرية، بل إنها مرحلة شعرية ترتبط بالشعر السابق للشاعر حسن الأمراني ولكنها تتمتع بومضات وملامح فنية جعلتها مختلفة في عدة أمور ونذكر من ذلك:

كتابة الشعر مسؤولية ورسالة

فقد أحس الشاعر أثناء كتابته للشعر في هذا الديوان بأهمية الكتابة الشعرية وخطورتها، وقال إنها وجع ممض وألم مقض[٣]، وتعبير الشاعر عن ذلك نثراً فيه دليل على الإحساس بخطورتها، وإن محاولة تبليغ المتلقي ذلك نثراً وليس فقط عن طريق الكلام الشعري يعبر عن مدى فعل الكتابة الشعرية في هذا الديوان، ونتساءل: لماذا كانت الكتابة الشعرية عند الشاعر ألماً ولم تكن ترفاً ولعباً بالكلمات؟ إن ذلك آتٍ من رؤية الشاعر وهدفه من كتابة الشعر. لقد عودنا الشاعر حسن الأمراني منذ مشاركته (في البريد يصل غداً) إلى هذا الديوان الأخير أنه ينظر إلى الكتابة الشعرية على أنها مسؤولية ورسالة موجهة للناس مراعياً في ذلك ما يستلزمه الشعر من أبعاد جمالية، ولا عجب أن تكون الكتابة الشعرية في ظل هذا التصور وجعاً وألماً، وقد يزداد الألم في هذه التجربة الشعرية الجديدة لجسامة الأحداث التي نمر بها ولمرارة الواقع المعيش وما يتبعه من معاناة نفسية لا تفارق الشاعر خصوصاً أنه ممن يحس بهموم هذه الأمة وبعمق جروحها. يقول الشاعر:

لمن تكتب الشعر؟
للسيف مشتعلاً في يد الفاتحين
وللأقحوان المرابط في دمعة العاشقين
لمن تهب القلب؟
للغرباء المحبين
عفواً فماتوا
وللقابضين على الجمر
في زمن سمته القهر والطعنات [٤].

ويقول أيضاً:

ويظل يكتب هذه الأشعار
بالدم عبر مملكة الرماد
إن صادروا منه المداد [٥].

إن النص الشعري الأول المستشهد به هنا يضع سؤالاً عن كتابة الشعر ولمن تكون، وقد وضع الشاعر هذا السؤال بلغة واضحة لا تحتمل تأويلاً آخر لأن الشاعر يهدف إلى وضع أمر كتابة الشعر موضع تساؤل، وذلك للإحساس بخطورة هذه القضية حيث إن الإجابة عن هذا السؤال تحدد موقف الشاعر من شعره ومن متلقي هذا الشعر. وبداية هذا النص تبين أن كتابة الشعر موجهة أساساً للسيف في يد الفاتحين، وهذا الأمر يجعلنا نحس بعمق الروابط بين هذا النص والنصوص الشعرية القديمة التي كانت تغني لسيف الفاتحين، والكتابة للسيف عند حسن الأمراني من الأمور الأساسية في شعره ولا أدلُّ على ذلك من ديوانه (سآتيك بالسيف والأقحوان) تنغيماً، ولكن الشاعر لا يكتب شعره للسيف مجرداً، وإنما للسيف في يد الفاتحين، وهذا اختيار يغذي مسيرة الشعر عند هذا الشاعر الذي أراد أن يوجه شعره توجيهاً إسلامياً؛ ويتحول السيف عنده إلى قوة تهدم كل أنواع الظلم، وتنتصر للحق.

ويمكننا أن ننظر إلى كتابة الشعر من هذه الزاوية على أنها كتابة مستمرة ومتجددة لأن الفاتحين عاشوا في الماضي وما زالوا يعيشون إلى الآن. ولعل في كلمة (مشتعلاً) في هذا النص ما يدل على طابع الاستمرار والتوهج، ومن هنا يكون الشعر في هذا المجال نابضاً بالحياة لا يعرف الفتور.

ويشير هذا النص أيضاً إلى إمكانية توجيه الشعر كذلك للأقحوان المرابط في دمعة العاشقين مما يبين أن مجال توجيه الشعر واسع، يمكن أن يحيا في المعارك وفي الأقحوان وفي غير ذلك.

ونجد في هذا النص سؤالاً آخر (لمن تهب القلب؟) ويعتبر هذا السؤال وجهاً آخر للسؤال الأول، حيث عبر عن الشعر بالقلب، ويتضح لنا ذلك بما جاء بعد السؤال الثاني من حديث عن الغرباء وعن القابضين على الجمر الذين يدخلون في عالم الفاتحين. وليس غريباً أن يكون الشعر هو القلب لأن الشاعر يضمن شعره ما يعتمل في قلبه ووجدانه. والكتابة الشعرية الموجهة للفاتحين وللغرباء رغم آلامها وعذابها تغدو قوة ونوراً للآخرين، ولن تكون كذلك إلا إذا كانت كلمة فاعلة يقول الشاعر:

ورب قصيدة تغدو سراجا
في ظلام الليل وهاجا
وتغدو الأحرف الخضراء
للأوطان معراجا (٦).

هناك إذن إيمان بأن القصيدة يمكنها أن تكون سراجاً وهاجاً، وأن يكون لها أيضاً سحرها وفعلها في القلوب والنفوس، يقول الشاعر:

رب فؤاد كسير
تداوي جراحاته الكلمات (٧).

ولذلك ألح الشاعر في السؤال عن كتابة الشعر ولمن يوجه. ومما يجعلنا نتحدث عن هذه التجربة الشعرية في ديوان "أشجان النيل الأزرق" بوصفها مختلفة عن الشعر السابق لهذا الشاعر وجود إشارات دالة: يقول الشاعر في أول قصيدة من هذا الديوان:

دع ما ترسم قبلك الشعراء ...(٨).

التناص مع الشعر القديم:

إن هذه البداية تذكرنا بلحظة من تاريخ الشعر القديم حيث كان الشاعر يصبو للتجديد. ولكن ماذا يمكن أن نفهم من هذه البداية في هذا الديوان؟ أهو ثورة على الشعر القديم؟ أم إعلان قطيعة مع الشعر السابق لهذا الشاعر؟ إن هذا المقطع الذي جاء في أول قصيدة من هذا الديوان يؤكد لنا إرادة هذه التجربة في أن يكون لها طعمها الخاص بها إلا أن الدعوة للتخلي عما ترسم الشعراء من قبل لا تعني أبداً التخلي عن الشعر القديم، فهو حاضر في هذا الديوان كما كان حاضراً في الدواوين السابقة. وحضوره يبدأ بهذه القصيدة بالذات التي جاء فيها هذا المقطع. وفي قصائد أخرى كقوله في قصيدة "إلى ليلى صدى الآباد" :

إلى ليلى وما ليلى؟ شهاب
من الرحمن يشرق في الصدور (٩).

ويقول في قصيدة "سبع شداد" :

أنا النيل لا خيري بخاف عليكم
إذا أغدقت كفي وكم جئت آسيا

إلى أن يقول:

وباسط خيـــر فيكم بيمينه
وقابض شـــر عنكم بشماليا

ونجد أيضاً في قصيدة "أبا الهول" وفي غيرها من القصائد الموجودة في هذا الديوان.

إن هذا المستوى من التناص يبين لنا أن الشاعر لا ينوي الانسلاخ من الشعر القديم، وكيف ذلك ومفتاح ديوانه

هذا يتحدث عن قوس محمد بن عبد الله بن مسلم. وهل تعني هذه البداية أن الشاعر يريد أن يقطع صلته بشعره السابق ليحقق بذلك تجربة مختلفة؟ لا يمكن أن نقول ذلك لأن الروابط بين شعره السابق وهذا الديوان قوية ومتأصلة، ولأن الشاعر قد تمسك بطريق لا محيد عنه في كل شعره بقديمه وحديثه، وهو أن يكون الشعر نبراساً وكلمة طيبة، وبهذا لا يمكن أن نتصور أن يعلن الشاعر قطيعة مع شعره السابق من حيث المبدأ. ولهذا نجد الشاعر يطرق مواضيع كثيرة، ويركب أقنعة متعددة، ولكنه لم يتخل عن طريقه الأول قط. وديوان "أشجان النيل الأزرق" نفسه يحمل نفحات من شعره السابق، وهذا واضح في مجموعة من القصائد نذكر منها مثلاً: قصيدة "لن تكتب الشعر" وكذلك قصيدة "أحمد مطر". وإذا كان الأمر كذلك فما المقصود بدعوة الشاعر للتخلي عما ترسم الشعراء من قبل؟ إن ذلك يظهر لنا في الشطر الثاني حيث قال الشاعر مباشرة **(واسكب جراحك إنهن كفاء)** بعد قوله **(دع ما ترسم قبلك الشعراء)**، إنه إذاً التخلي عن الشعر الذي لا روح فيه ولا يعبأ بالحياة وبالجراح وبالواقع المعيش. ولكن هذا لا يعني بأي حال أن الشاعر يمنع من أي باب من أبواب الشعر، فهو حر طليق يغرد متى شاء وأنى شاء، وصاحب هذا الديوان نفسه ربط شعره بمجالات كثيرة. ولكن المهم أن نلمس في الشعر قوة الكلمة وصفاءها في أي اتجاه كان. ومتى غاب الصفاء والصدق في الشعر فيجب التخلي عنه.

ومن الإشارات الدالة في هذه القصيدة أيضاً قوله:

واطرق عيون الشعر لم يلمم بها
من قبل لا أوس ولا الخنساء [١٠].

وهذه دعوة من الشاعر كي يطأ الشعر أرضاً جديدة، وينهل الشاعر من عيون شعر لم يلمم بها القدماء. ولا شك في أن معظم الشعراء القدماء عرفوا روح الشعر، ودفعوا إلى مضائقه. وبهذا تتصل دعوة الشاعر هنا بربط الشعر بالواقع وما يجد فيه من أمور خفية وظاهرة والكشف عنها بروح شعرية تنفذ إلى العمق. ويمكننا أن ننتقل الآن إلى بعض الجوانب الأخرى، ونبدأ بالجانب الموسيقي.

الجانب الموسيقي:

يتميز الشعر بجانبه الموسيقي أساساً، وتدخل عدة عناصر في تكوين هذا الجانب ومنها الوزن الشعري.

د. حسن الأمراني

وقد اختار الشاعر حسن الأمراني في هذا الديوان مجموعة من الأوزان المعروفة بكثرة استعمالها في الشعر القديم والحديث أيضاً. ومن ذلك (الكامل) ويمثل المرتبة الأولى وبعده (الوافر) وهناك (المتقارب) وغيره. فهناك تعدد الأنساق، وهذا التعدد يعرفه مجموعة من الشعراء بل إنه "أصبح ظاهرة تميز الشعراء السبعينيين ومنهم الأستاذ حسن الأمراني"[١١]، وكان الشاعر يزين قصائده - إلى جانب الوزن - بما يزيد في إيقاعه ومن ذلك ما كان يُعرف عند القدماء بـ(التطريز)[١٢] ويظهر هذا في قصيدة "سبعٌ شِداد" فهناك: متذكر، متفكر، متطهر، مسترشد، متعبد، متهجد. وأيضاً: صوامة، قوامة، لوامة، أوابة، توابة، نوابة. ويأتي الشاعر بصيغ لا تحقق (التطريز) ولكنها قريبة منه حيث إن الكلمات لا تكون موافقة للتفعيلة، ومع ذلك نجدها تشارك في تقوية الجانب الموسيقي كما هو الشأن في قصيدة "جميلة" في قوله:

وهران ما زالت تئن
بوطأة الطاعون
طاعون التدابر
والتنافر
والتناحر [١٣].

وإلى جانب هذا نجد التكرار يلعب دوره في هذا الديوان، ونمثل لذلك بما جاء من تكرار الحروف في قصيدة "إلى ليلى صدى الآباد" حيث نجد:

(الدهور، الهجير، النشور، الصدور، الغدير، سريري، مسيري، العسير، العصور) أو في غيرها من القصائد[١٤] أو ما جاء من تكرار الكلمات في مجموعة من القصائد كقصيدة "لماذا تحجبين الشمس" حيث تكرر:

(أحباب قلبي) و(وأنا) و(الهدم) و(الدم)[١٥] أو تكرار الجمل في قصيدة "يعود الصيف" مثلاً، حيث نجد (يعود الصيف) أو(سيأتي الصيف) تكرر. ويدخل في هذا الإطار الجناس بأنواعه، ونجد أن الشاعر لا يحفل بالإتيان بالجناس أو بغيره من المكونات الموسيقية إلا إذا استدعى ذلك السياق العام للقصيدة، أي أنه لا يتمحل أو يتعسف للإتيان بتلك المحسنات، فهي عنده جزء من القصيدة غير مفروضة عليها. ولا نعدم بعض ما يدخل في هذا الباب كقوله مثلاً في الجناس غير التام: إن عودي يعوذ... [١٦].

الجانب الدلالي:

نلاحظ في هذا الديوان أن هناك دلالات عميقة تسري في جل قصائد هذا الديوان، وتتشكل مع طبيعة كل قصيدة، ونذكر من ذلك: ليلى، فهي من العناصر المحركة في هذا الديوان، ولذلك أشار إليها الشاعر في افتتاحه للديوان، وركز على بعده الرمزي. ونجد أن ليلى تتخذ أوجهاً متعددة، فهي البلاد في قوله:

تسكن ظهري امرأة
لها في كل فاصلة يد
وبكل نبض صيحة
وبكل سطر من حروف شهقة
فإذا هي انتلقت
أسميها بلادي لست أنكرها (١٧)

إن ليلى هنا تشكل باعثاً قوياً لقول الشعر بل إنها تمثل عمقه وتحتويه، ألم يقل إن لها بكل سطر شهقة. وتتخذ ليلى أبعاداً جمالية أخرى فإذا هي: نداء، وقصائد، وصلاة الياسمين، وشهقة الورد، وكتيبة الإيمان، ونشيد الدفء ، وسفينة المستضعفين. وتغدو ليلى في هذا الديوان شهاباً، وبيرقاً، ونجماً ثاقباً وكذلك أماً وصاحبة، وراح العمر. بل إنها يمكن أن تكون أيضاً زوبعة.

أشجان كثيرة

وإلى جانب ليلى نجد للأشجان التي أسس عليها العنوان صدى في قصائد هذا الديوان. وإذا كان الشجن هو الهم والحزن (١٨) فإن في ثنايا قصائد هذا الديوان تعبيراً حقيقياً عن أشجان كثيرة يولدها ما هو موجود من تناقض في المجتمع، وما يعرفه من ظلم وعقم. وتتحكم هذه الأشجان في مسير الدلالة الشعرية في الديوان كله، ولذلك نجد أن الحقل الدلالي للحزن وما يعبر عنه واسع مكثف، ونكتفي بذكر بعض ما جاء فيه، فهناك: الجراح، والموت، والقهر، والطعنات، والفؤاد الكسير، والشدة، والحسرة، والهجر، والريح العقيم، والتيه، وما إلى ذلك... ولنأخذ على سبيل المثال قصيدة "يعود الصيف" ففيها ما يؤكد هذا الأمر. وعودة الصيف تشكل بؤرة في هذه القصيدة، وهي عودة تحمل الكآبة والسأم حيث لا ماء، لا رمان، ولا حنطة مما يولد زفرة القلب والبكاء، والبغضاء والبلوى، والشكوى وموت الأمل. وتظل المعاناة مستمرة حيث وجود الفعل المضارع (يعود) وتتكرر عودة الصيف كأنها صخرة سزيف. وهذا ما يكثر من المعاناة التي تظهر مرارتها في

تعبير الشاعر عن الزمن: فهو زمن الخديعة والسراب (١٩) وزمن الخنوع (٢٠) والزمن الصعب (٢١) والزمن العسير (٢٢) وزمن سمته القهر والطعنات (٢٣) والسؤال الذي نراه مهماً هنا هو: هل اكتفى الشاعر بتصوير هذا الجو القاتم اليائس والتفاعل معه فقط، واستسلم للطعنات ولليأس؟

إن الرؤية الشعرية في هذا الديوان المنسجمة مع ما يسعى إليه الشاعر، وما يريد تبليغه تجعل الشاعر يلوذ بالأمل والصبر، يقول في ذلك:

فإن قيل أيان تمضي
ودربك هذا فلاة
أقول سأتخذ الصبر لي صاحباً

ويواجه الشاعر عودة الصيف بعودته للقرآن من خلال اتخاذه للصبر صاحباً وللصلاة (٢٤). وكذلك بارتشافه من نبع السنة النبوية في قوله عن الدنيا: **"وليست غير ظل زائل بعد المقيل"** (٢٥). أما بالنسبة للأمل فإنه مستمد من الرؤيا الإسلامية التي تدعو إلى عدم القنوط، يقول هذا الشاعر:

وهتفت بي:
فالصبح، يا إلفي لناظره قريب
وإذا ادلهمّ الأمر
واشتعلت بعينيك الخطوب
فاذكر نداء الله
من فوق السماوات العلى:
إني قريب
إني قريب (٢٦).

ويقول في آخر قصيدة "عودة الصيف" رغم ما عبرت عنه من آلام ويأس:

ولا أمل سوى وعد الرحمن ما زلنا نرجيه

ويقول أيضاً معبراً عن الأمل:

ليس بعد الليل إلا الفجر (٢٧).

إن الصراع بين اليأس والأمل وانتصار الأمل في الأخير خاصة، وإنه يأتي في آخر مجموعة من القصائد قد ولد شحنة وقوة في المسير الدلالي في هذا الديوان. ومما زاد من دينامية هذه النصوص أن الشاعر كان يركب جملاً إنشائية تدل على الفعل وتلغي السكون. وقد افتتح الشاعر قصيدته الأولى بالأمر ابتداء من العنوان (كن أنت أنت)، وبداية القصيدة كانت بفعل الأمر "دع"، وجاءت بعد ذلك أفعال أخرى متتالية (اسكب، افتح، اطرق، كن). وهناك قصائد أخرى تعبر عن هذه الحركة من خلال أفعالها خاصة كقصيدة "دليلة" حيث نجد (ثوري، صوني، اقتصي، احفظي، وأيضاً (لا تعبئي) ويقول في قصيدة (أبا الهول):

لقد دنست خطوات البغاة

رحابك فاغضب وانتصر [٢٨].

ونجد مثل هذا في قصيدة "جميلة" وفي غيرها من القصائد. ويضاف إلى هذه الأفعال ما هو موجود من استفهام وتساؤل، يقول الشاعر في ذلك مثلاً:

هل تذكرين عبير وجدة؟

هل تذكرين دماءنا....

فمن الذي ألقى بذور الشك فيما بيننا؟

ومن الذي اغتصب البراءة وافترار الشوق

في المقل الكحيلة [٢٩].

وبالإضافة إلى هذا هناك النداء والنهي وغير ذلك مما يقوي الجانب الدلالي. وقد استغل الشاعر مجموعة من الأحداث التاريخية والرموز ووظفها توظيفاً نلمس فيه اهتداءه إلى قيمها الجمالية والمعنوية، ولا تخفى أهمية التعامل مع الرموز حيث إن "توظيف الرمز في القصيدة توظيفاً فنياً ناجحاً هدف سعى إليه الشاعر العربي المعاصر، ومطمح لا يزال يلح في الوصول إليه" [٣٠] والملاحظ أن الشاعر حسن الأمراني سواءً في الدواوين السابقة، أو في هذا الديوان يستغل الرموز والأقنعة ذات البعد التاريخي والديني في الآن نفسه. ونجد كذلك في هذا الديوان أن الشاعر قد أدخل طابعاً حوارياً في بعض قصائده كقصيدة "مصابرة" وقصيدة "لن تكتب الشعر" وكان لكل ذلك أثره في تطعيم البعد الدلالي.

ونشير هنا إلى أمر استغلال "المكان" في بعديه الفني والدلالي فنجد الشاعر يطوف في عدة أمكنة ابتداء من مسقط رأسه إلى بعض المدن والأمكنة الأخرى بالمغرب[٣١] إلى المغرب العربي[٣٢] إلى مصر، إلى تركستان ... وليس غريباً أن تحضر هذه الأمكنة لأن الديوان جعل المكان أساسياً انطلاقاً من العنوان. ولأن السفر - الذي يتعبه التنقل - حاضر أيضاً في هذا الديوان، يقول الشاعر:

ولسوف أسابق ظلي

وإن طال هذا الطريق

وأنضى جوادي

وخالط زادي

دمي، وغبار السفر [٣٣].

ويتخذ المكان دلالة نفسية عميقة في هذا الديوان فنجد على سبيل المثال في قصيدة (صبية تقرأ القرآن) أن القصيدة تجعل من مسجد (أويس القرني) محركاً لمسيرها الدلالي.

ومما يثير الانتباه في هذا الديوان من الناحية الدلالية أن هذه التجربة أفضت بصاحبها إلى الوصول إلى استنتاج أفكار ذات طابع حكمي لا يمكن الوصول إليها إلا بعد مراس ومعاناة، يقول في ذلك:

ما أنت يا دنيا؟

شباك غواية ...

ويقول في القصيدة نفسها:

ما هذه الدنيا؟

شراك غواية [٣٤].

ويقول أيضاً في هذا الاتجاه:

لا تصلح الدنيا سوى لمن اتقى

ظن الجهول سواه غير مسدد [٣٥].

ويحفل هذا الديوان بالصور الشعرية التي تعتبر من المكونات الجمالية في الشعر ومن ذلك قوله:

وكم كنا نقول إذا ترنمت الأعاصير

وألقت زورق الأحلام

وسط خرائب الليل [٣٦].

ويقول في هذه القصيدة أيضاً:

يعود الصيف يا ليلى

وما فيه

من الأحلام غير كآبة خرساء [٣٧].

ويقول في قصيدة "طائر الشوق":

وإذا ادلهم الأمر

واشتعلت بعينيك الخطوب [٣٨].

كما يقول في قصيدة "يا أم درمان":

يا أم درمان، إذا شابت ليالينا
وأزهرت الجراح
لا تقلقي
فالمغرب العربي صار لك الجناح
وعين صبيته الوشاح (٣٩).

فهذه بعض الصور الشعرية، وليس كل الصور، أردنا أن نذكرها لتبيان أن هذا الديوان يحمل بين طياته صوراً شعرية في حاجة إلى الوقوف عندها بتفصيل.

الجانب التركيبي:

إن اللغة في هذا الديوان تحافظ على جمالها، وسلامتها. لأن الشاعر يريد أن يبلغ المتلقي أموراً تحتاج إلى لغة قوية وواضحة(٤٠). ولذلك يلجأ الشاعر إلى المحافظة على النسق العام لجمل اللغة العربية. وهذا لم يمنع من استخدام مجموعة من الأساليب كالتقديم والتأخير في قوله:

كان الدمُ الدمَ، فاذكروا
والهدمَ الهدمُ
كيف تراه ينتقض البنا
ويؤود من بعد عمر خراب (٤١).

أو استعمال الحذف أو غير ذلك.

وبعد هذه الجولة في عالم هذا الديوان التي لا تغني عن العودة إلى عوالمه المتنوعة، نختم بقول العقاد: "فإذا بحثنا عن الأدب فلنبحث عن شيئين لا يعنينا بعدهما مزيد وإن وجد المزيد، أهناك باعث صحيح؟ أهناك تعبير جميل؟ فإذا وجد الباعث والتعبير فقد أدى الأدب رسالته" (٤٢).

ونجد أن في ديوان "أشجان النيل الأزرق" للشاعر حسن الأمراني الباعث الصحيح والتعبير الجميل. ■

الهوامش:

(١) د. طه وادي جماليات القصيدة المعاصرة دار المعارف ط الثالثة ١٩٩٤ ص٩٨ .
(٢) حسن الأمراني ديوان "أشجان النيل الأزرق" دار النشر الأحمدية مطبعة سيمباب البيضاء، ط الأولى ٩٨/ ١٩٩٩ ص٣٨ .
(٣) نفسه ص٣٨.
(٤) نفسه ص٧ .
(٥) نفسه ص١٣ .
(٦) نفسه ص٢٧ .
(٧) نفسه ص٧ .
(٨) نفسه ص٥ .
(٩) نفسه ص٦ .
(١٠) نفسه ص٥ .
(١١) مجلة المشكاة عدد ١٥ / ١٦، ١٩٩٢ أوراق مهربة من زمن الحصار. د. محمد علي الرباوي ص٢٥ .
(١٢) نشير هنا إلى أن هناك اختلافاً بين القصيدة القديمة بشكلها المنتظم والقصيدة المعاصرة إلا أن هذا لا يمنع من حضور بعض الأساليب المعروفة في القديم في الشعر المعاصر.
(١٣) ديوان "أشجان النيل الأزرق" ص٣٧ .
(١٤) انظر قصيدة (عبد السلام ياسين) وقصيدة (جميلة) وغير ذلك.
(١٥) انظر قصائد: غنيت لامرأة تغني، عبد الله بن ياسين، سبع شداد، دليلة.
(١٦) نفسه ص١٢ .
(١٧) نفسه ص١٧ .
(١٨) ابن منظور لسان العرب المجلد ١٣ ص٢٣٢ .
(١٩) ديوان "أشجان النيل" ص١٩ .
(٢٠) نفسه ص٣٠ .
(٢١) نفسه ص٣٥ .
(٢٢) نفسه ص٦ .
(٢٣) نفسه ص٧ .
(٢٤) يقول الله تعالى في سورة البقرة الآية ١٥٢ ﴿ يا أيُّها الذين آمنُوا استعينُوا بالصَّبْر والصَّلاة إنَّ اللَّه مع الصَّابرين ﴾.
(٢٥) ديوان "أشجان النيل الأزرق" ص١٦ .
(٢٦) نفسه ص٣٠ .
(٢٧) نفسه ص٣٦ .
(٢٨) نفسه ص٣١ .
(٢٩) نفسه ص٣٧ .
(٣٠) د. خالد سليمان أنماط من الغموض في الشعر العربي الحر منشورات جامعة اليرموك ١٩٨٧ ص٣٣ .
(٣١) انظر قصائد: عبد الله بن ياسين، غنيت لامرأة تغني، عبد السلام ياسين.
(٣٢) انظر قصائد: يا أم درمان، دليلة، مالك حداد، جميلة.
(٣٣) ديوان "أشجان النيل الأزرق" ص٨ .
(٣٤) نفسه ص١٦ .
(٣٥) نفسه.
(٣٦) نفسه ص٢٨ .
(٣٧) نفسه.
(٣٨) نفسه ص٣٠ .
(٣٩) نفسه ص٣٣ .
(٤٠) انظر مجلة المشكاة عدد ١٥ / ١٦، ١٩٩٢ أوراق مهربة من زمن الحصار د. محمد على الرباوي ص٣٨ .
(٤١) نفسه ص٢٤ .
(٤٢) عباس محمود العقاد يسألونك دار الكتاب العربي لبنان، ط٢ ص١٠٤.
* نشير إلى أن ديوان "أشجان النيل الأزرق" غير مرقم وترقيم الصفحات من عندنا.